

اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي اخرجنا من حدود البهيمية إلى حَدِّ الانسانية بِوَلَايَةِ عَلِيِّ و آلِ عَلِيٍّ , و الحمد لله الذي اكْمَلَ ديننا و اتمَّ النعمة علينا بِمَوَدَّةِ عَلِيِّ و آلِ عَلِيٍّ , و الحمد لله الذي طَيَّبَ موالِدنا و طَهَّرَ خَلْقَتنا بِمَحَبَّةِ عَلِيِّ و آلِ عَلِيٍّ , و الحمد لله بِجَمِيعِ مَحَامِدِهِ كُلِّهَا على اعْظَمِ نِعَمِهِ و اسْبَغِ آلائِهِ اعني عَلِيًّا و آلِ عَلِيٍّ صلوات الله عليهم اجمعين , و الصلاة على سيدنا و نَبِيِّنا , شفيع ذنوبنا , املنا في الدنيا و الآخرة , هادينا من الضلالة و مُخْرِجنا من حَيْرَةِ الجَهالة , خاتم الانبياء و المرسلين ابي القاسم مُحَمَّد و آلِهِ الطَّيِّبين الطاهرين , و اللعنة الدائمة على اعدائهم و اعداء شيعتهم إلى يوم الدين .

اللهم ارني في آل مُحَمَّد ما يأملون , و ارني في عدوِّهم ما يحذرون

وصَلَ بنا الكلام في يوم الجمعة الماضي إلى الرواية التي يرويها اسماعيل بن جابر عن إمامنا ابي جعفر صلوات الله و سلامه عليه , انه قال ... المقطع الاول من الرواية كنتُ قد شَرَحْتُهُ في الاسبوع الماضي , و انتقل الى المقطع الثاني من الرواية لأننا كُنَّا قد شُغِلْنَا في يوم الجمعة الماضي في شرح المقطع الاول من الرواية الشريفة (ثم قال ابو جعفر عليه السلام) الإمام هنا يتحدث عن الساعة التي يظهر فيها إمامنا صلوات الله و سلامه عليه , اول ظهوره الشريف و ماذا يفعل (و الله لَكَأَنِّي انظُرُ اليه) ينظر إلى الإمام الحُجَّة صلوات الله عليه (و قد اسنَدَ ظَهْرُهُ الى الحَجَرِ . في البيت . فَيُنشِدُ اللهُ حَقَّهُ ثم يقول , يا ايُّها الناس , مَنْ يُحَاجُّني في الله فانا أولى الناس بالله , ايُّها الناس مَنْ يُحَاجُّني في آدم فانا أولى الناس بآدم , ايُّها الناس مَنْ يُحَاجُّني في نوح فانا أولى الناس بنوح , ايُّها الناس مَنْ يُحَاجُّني في ابراهيم فانا أولى الناس بابراهيم , ايُّها الناس مَنْ يُحَاجُّني في موسى فانا أولى الناس بموسى , ايُّها الناس مَنْ يُحَاجُّني في عيسى فانا أولى الناس بعيسى , ايُّها الناس مَنْ يُحَاجُّني في مُحَمَّد صلى الله عليه و آله فانا أولى الناس بِمُحَمَّد صلى الله عليه و آله , ايُّها الناس مَنْ يُحَاجُّني في كتاب الله فانا أولى الناس بِكِتابِ اللهِ , ثم ينتهي الى المقام فيصلي عنده ركعتين و يُنشدُ اللهُ حَقَّهُ , ثم قال ابو جعفر عليه السلام , و هو و الله المُضطرُّ الذي يقول اللهُ فيه , آمَنَ يُجيبُ المُضطرَّ اذا دَعَاهُ و يكشف

ج ٧

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

السوء و يجعلكم خلفاء الارض , فيه نزلت و له) صلوات الله و سلامه عليه , هذا تمام الرواية الشريفة و قلت في اول حديثي , الشطر الاول او النصف الاول من الرواية كُنا قد شرحناه في يوم الجمعة الماضية , اليوم نتناول ما تبقي من الرواية الشريفة .

(و الله لكأني انظر اليه) و هذا المعنى لم تكن هذه الرواية لوحدها ذكرت و إنما وردت روايات كثيرة عن اهل بيت العصمة صلوات الله عليهم اجمعين تُبين لنا ما يفعله الإمام او ما هو الحال الذي يكون عليه الإمام صلوات الله و سلامه عليه في الساعات الاولى لظهوره الشريف , و هذه الرواية هنا إنما تتحدث عن المراسم الاولى لأخذ البيعة الاولى على خاصة اصحابه صلوات الله و سلامه عليه , لأن الإمام اولاً يظهر فيسند ظهره الى الكعبة كما في روايات اهل البيت , بعد ذلك يخطب خطبته و هذا مقطع من الخطبة و إلا في روايات اخرى ذكرت الخطبة مفصلة اكثر من هذا , هذا مقطع من الخطبة , بعد ان يخطب بالناس , بعد ذلك يقوم رجل من اصحابه فيأخذ البيعة له على خاصة اصحابه الذين اجتمعوا في مكة و الذين منهم هذه الطائفة التي بلغت الاربعين او قاربت الاربعين .

(و الله لكأني انظر اليه و قد اسند ظهره الى الحجر) اسند ظهره الى الحجر , الاسناد , هنا يُقال فلان اسند ظهره , تاتي بمعنيين , المعنى الاول اسند ظهره يعني هو متمكن , متمكن من القيام , متمكن من الوقوف لكنه هكذا يُسند ظهره الى الكعبة , و تارة الاسناد يكون للانسان المريض و العاجز و لذلك مثلاً قد يُقال للعمود الذي يعتمد عليه البيت في البناء , يُقال له سند البيت يعني ان البيت ينائه او هذه الحيمة بكُلها مُستندة الى هذا العمود الوسطي في الحيمة فلو سقط هذا العمود تسقط الحيمة , هذا ايضا يُقال له اسناد لكن المراد هنا (اسند ظهره الى الكعبة) من المعنى الاول كالذي يتكوى , يعني اتكأ على الكعبة (و الله لكأني انظر اليه و قد اسند ظهره الى الحجر) الى الحجر الاسود الذي يكون في ركن من اركان الكعبة , بالنتيجة الحجر الاسود ليس هو في وسط الكعبة و إنما يكون الحجر الاسود في ركن من اركانها , فالإمام صلوات الله و سلامه عليه يكون واقفا عند ذلك الركن الذي يكون فيه الحجر الاسود , يعني الكعبة منذ بداية بنائها و الى اليوم , الحجر الاسود يوضع في ركن من اركانها , فالإمام صلوات الله و سلامه عليه الرواية تصفه انه يستند الى ذلك الركن , المقصود هنا يُسند ظهره الى الحجر ليس الى نفس الحجر و إلا هو الحجر الاسود حجمه صغير و الحجر الاسود موضوع داخل البناء , داخل نفس الكعبة , مقصود اسند ظهره الى الحجر يعني الى الركن الذي يوضع فيه الحجر الاسود (و الله لكأني انظر اليه و قد اسند ظهره الى الحجر) و الائمة صلوات الله عليهم اجمعين إنما يذكرون هذه المعاني و بهذه التفصيلات , حتى يذكرون كيفية جلوسه او كيفية قيامه صلوات الله و سلامه عليه , ذكروهم لهذه الامور فيه عدة ابعاد , البعد الاول

ج ٧

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

اشعارهم للناس و لشيعتهم بنحو خاص , اشعارهم انهم يعلمون بكل دقائق الامور و لذلك تراهم في كل حادثة , في كل واقعة من الوقائع المستقبلية لربما يذكرون فيها من الدقائق و من التفصيلات التي تغيب عن ذهن الانسان حتى لو كان حاضرا في تلك الواقعة , تغيب عن ذهنه فيلتفت الى جزئياتها , الغاية من ذكر هذه التدقيقات , الغاية من ذكر هذه التفصيلات , اولاً كي يشعروا الناس بنحو عام , إن علموا بكلام اهل البيت و الا الكلام بالخصوص موجّه الى شيعتهم , الكلام بالخصوص موجّه الى محبيهم , الكلام بالخصوص موجّه الى الذين ينتظرون إمامهم صلوات الله و سلامه عليه , يشعرونهم انهم عالمون بكل التدقيقات , بصغائر الامور و بعظائمها , بالنتيجة الدنيا و ما فيها , السماء و ما فيها , الماضي و الحاضر و المستقبل و كل مظاهر الوجود بيد المعصوم صلوات الله و سلامه عليه و ظاهرة بين يدي المعصوم كظهور كفه كما عبرت الروايات الشريفة الواردة عنهم صلوات الله عليهم اجمعين , ككفه التي يُقَلَّبُها , و في الرواية الإمام صلوات الله و سلامه عليه يُقَلَّبُ كفه هكذا عندما يتحدّث عن علمه الشريف صلوات الله و سلامه عليه , فالغاية الاولى او المضمون الاول لذكر الائمة لهذه الاشارات هو هذا , إلفات نظر شيعتهم الى مصداق من مصاديق علمهم في كل جزئيات الامور و في كل كليات الامور , هذا اولاً .

و ثانياً , ايضاً في ذكرهم لهذه التفصيلات إنما يكشفون الفتنة عن قلوب اشياعهم , الشيعة الذين يعلمون كيفية ظهور الإمام صلوات الله و سلامه عليه من خلال كلمات اهل البيت قد لا يُفَتَنُّون او تكون الفتنة بالنسبة اليهم اقل شدّة , عندما يكونون قد علموا في كيفية ظهوره , في كيفية خطابه , في كيفية كلامه و سائر الجزئيات الاخرى فهم يذكرون الكليات مع الجزئيات حتى لا يقع محبّوهم في الفتنة او تكون الفتنة عليهم اهون من غيرهم , هذا ثانياً , و ثالثاً هناك بُعد ثالث , البعد الاول قلت يلفتون انظار اشياعهم الى علمهم بكل الجزئيات و بكل التدقيقات , و ثانياً لمساعدّة اشياعهم حينما تكون فتنة الظهور يكونون على بينة من الحال , يكونون على بينة من الامر , فإن لم ينحوا من الفتنة , على الاقل تكون الفتنة بالنسبة اليهم اهون , يكون حاتم اهون من غيرهم في تلقّي تلکم الفتنة و مواجهة ذلك الابتلاء , هذا المعنى الثاني , و المعنى الثالث , يريدون من اشياعهم في زمن غيبة مهديهم صلوات الله عليهم اجمعين , يريدون من اشياعهم ان يتمثلوا جميع حالات الإمام لأنّ الذي ينتظر هكذا بدون معرفة , الذي ينتظر شخصاً بدون ان يعرفه , بدون ان يرى شكله , بدون ان يعرف افعاله , بدون ان يعرف ماذا يصنع , الانتظار قد يكون خالياً من المعنى , إن لم يكن خالياً من المعنى فالانسان حينئذ لا يعيش معنى الانتظار في الجنبة العاطفية , ربّما فقط من الجهة العقلية , اما اذا كان الائمة صلوات الله عليهم اجمعين صوّروا لنا حالات الإمام صلوات الله و سلامه عليه , كيف يظهر و كيف يجلس و كيف يقوم و كيف يقعد و كيف يخطب , هذه الحالات بالنتيجة

ج ٧

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

تربطنا بالإمام صلوات الله و سلامه عليه رابطة وثيقة و من هنا أكدَّ ائمتنا صلوات الله عليهم اجمعين على ذكر مصيبة سيّد الشهداء , نحن لم نشهد الواقعة لكن لانّ الشيعة واطبّت على تكرار ذكر هذه المصيبة اصبحَت المصيبة معروفة حتى عند ذلك الذي لم يكن قد رأى كتاباً في عُمره . من الشيعة . لا اقول أمياً لا يقرأ , لا , لم ير كتاباً , حتى في القبائل البدوية التي تقطن البادية , معنى مصيبة سيّد الشهداء جُملةً او تفصيلاً , ثبت في اذهان المجتمع الشيعي , و نتيجةً لشيوعه في المجتمع الشيعي سرى للمجتمعات الاخرى , فتأكدت الاثمة صلوات الله عليهم اجمعين على مصيبة سيّد الشهداء و بالذات على ذكر المصيبة و ما جرى على سيّد الشهداء و بجد هذا واضحاً في اي شيء ؟ اولاً في الزيارات , في زيارات اهل البيت بجد هذا المعنى واضحاً , الاشارة , بل في الزيارة المروية عن الإمام الحجة , زيارتان , زيارة سيّد الشهداء , زيارة الناحية المقدسة , تفصيل كامل لواقعة المقتل , و زيارة الشهداء التي خرجت من الناحية المقدسة , ذكر اسماء الشهداء واحداً واحداً و ذكر كيفية قتله و اللعن على قاتله , الزيارة التي خرجت مُرادفة لزيارة الناحية المقدسة , معروفة بزيارة شهداء الناحية , زيارة الشهداء التي خرجت من الإمام الحجة صلوات الله و سلامه عليه , بجدها في (إقبال الاعمال) و في غير (إقبال الاعمال) من كتب الادعية و الزيارات الشريفة (إقبال الاعمال) للسيد ابن طاووس رضوان الله تعالى عليه , هذا المعنى بجد واضحاً في الزيارات و بجد واضحاً في روايات اهل البيت بل قد يبلغ الحال بالإمام المعصوم صلوات الله و سلامه عليه ان يُخرج طفلاً رضيعاً لاصحابه لتمثيل واقعة الرضيع و هذا المعنى مذكور في حياة إمامنا الصادق صلوات الله و سلامه عليه , او تاكيدهم بل انّ الإمام يطلب بلسانه من الشعراء و من النائحين على سيّد الشهداء ان يُنشدوا في سيّد الشهداء صلوات الله و سلامه عليه , و إمامنا الباقر في جُملة وصاياه انفق اموالاً طائلة تُعطي لِنائحات يُنحَن عليه في مكة , اموال طائلة بعد وفاته صلوات الله و سلامه عليه , الاثمة بهذه الاساليب , نحن لا نريد ان ندخل في تفصيلات هذا المطلب , ليس الحديث عن التعامل مع مصيبة سيّد الشهداء لكن هذا ذكرته على سبيل المثال و التوضيح , انّ اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين انما ارادوا في تاكيدهم على ذكر جزئيات ما وقَع على سيّد الشهداء لثبوت هذا المعنى لانّ الانسان اذا كان بعيداً في الزمان و المكان عن الواقعة , بالنتيجة لا يتحسّس معانيها , فبالنسبة لروايات الإمام الحجة صلوات الله و سلامه عليه لَمَّا تتحدّث عن هذه الجزئيات لم يكن الحديث هنا جُزافياً هكذا لاجل الحديث , لم يكن الحديث لاجل الحديث و انما لهذا الحديث غايات و غايات , من جُملة هذه الغايات , التي ذكرتها , اولاً اشعاراً لشيعتهم بأنهم عالمون بِكُلّ الجزئيات , بِكُلّ الدقائق , و ثانياً لكشف الفتنة عن وجوههم , عن قلوبهم حينما يطلعون على جزئيات الظهور , و ثالثاً انهم يريدون من الذين يعيشون في زمن غيبة الإمام صلوات الله و سلامه عليه ان يعيشوا ,

ج ٧

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

ان يتصوّروا , ان يتخيّلوا , ان يعيشوا الصوّر التي سيكون فيها إمامنا صلوات الله و سلامه عليه في حين ظهوره , بالنتيجة الانسان الذي تُرسم في ذهنه الصورة مُفصّلة , كيف يظهر و ماذا يقول , هذا يدفعه للاشتياق , هذا يدفعه للشوق , هذا يدفعه لِطَلْب و لِتَعْجِيل و لِدَعَاءِ الباري سبحانه و تعالى بِتَعْجِيل فَرَج الإمام صلوات الله و سلامه عليه و لذلك كلمات اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين لا بد حينما نمرّ عليها و حينما نُطالعها و حينما نسمّعها , لا هكذا نتلوها كما نتلو ما يُكتَب في الصحف و المجلات , كما يُكتَب في كُتُب التاريخ , المؤرّخ يكتب الحوادث لاجل الحوادث لا اكثر , لَمّا يأتي المؤرّخ فيؤرّخ لِحادثة من الحوادث التي وقعت في يوم ما و يذكرها بتفاصيلها , يريد من ذلك ماذا ؟ اولاً يريد ان يُثبت الحادثة لاجل اثباتها لا اكثر , هذا اولاً , و ثانياً ليُظهر قدرته في كتابة التاريخ و انه اكثر قدرة من غيره , فالذي يلزم علينا ان لا نتعامل مع كلمات اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين ؟؟؟ و لذلك في الايام الماضية حتى عندما نمرّ (اطرق الإمام) نحن نُشير الى بعض دلالاتها (سكّت الإمام) نُشير الى معنى سكوته (التفت الإمام) نُشير الى معنى التفاته , اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين في كل افعالهم , في حركاتهم , في سكّناهم ما هم يتصرّفون او يفعلون كالفعل العادي الذي نفعله نحن , كفعالنا الاعتيادية , بالنتيجة لِكُل حركات اهل البيت و لِكُل سكّناهم دلالات و دلالات و كلٌّ يغرّف بحسب وعائه , بالنتيجة هذا الذي نُبيّنه لا يعني هو هذا تمام المعنى و امّا نغرّف بقدر ما يتحمّل وعاوننا ان نغرّف و إلاّ تبقى اغوار كلام اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين لا تُسبر بهذه السهولة خصوصاً و أنّ الكلام في مثل هذه المجالس كلام مذكور على نحو الاختصار , كلام مذكور على نحو الايجاز لا على نحو التفصيل و الاطناب في بيان معاني كلماتهم صلوات الله عليهم اجمعين (ثم قال ابو جعفر عليه السلام , و الله لكأني انظر اليه و قد اسندَ ظهره الى الحجر فينشد الله حقّه) و حتى في اسناد الإمام صلوات الله و سلامه عليه ظهره الى الحجر , الكلام الذي ذكرته قبل قليل , انه المراد من ذكر اهل البيت لِكُل التدقيقات , بينت العِلل بِشكل اجمالي , قلت اولاً لبيان و لإلفات انظار شيعتهم أنّهم يعلمون بدقائق الامور و بعظائمها , هذا اولاً , ثانياً لمساعدة شيعتهم في انكشاف الفتنة عن قلوبهم او على الاقل ان تكون الفتنة اهون بالنسبة لشيعتهم اذا كانوا يعلمون بِجزئيات الامور فضلاً عن كلياتها , و المسألة الثالثة أنّهم يريدون من الذين ينتظرون إمام زمانهم في زمن العيبة الشريفة , ينتظرون الإمام صلوات الله و سلامه عليه , يعيشون الصوّر التي يكون فيها حال الإمام صلوات الله و سلامه عليه في زمن غيبته , في زمن ظهوره , هذه المضامين الثلاثة المقصود منها بيان العلة التي لاجلها يذكر اهل البيت الجزئيات في الحوادث , امّا أنّ الإمام يُسند ظهره الى الحجر , ما في ذلك من دلالة , هل هو فعلٌ عادي , يعني كما استند الآن الى الجدار ؟ هل هو فعل عادي ؟ او نتيجة لآلام في

ج ٧

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

ظهره يُسند ظهره الى الحجر ؟ قطعاً ليس المراد هذا لأنّ الحجر الاسود موضع تقديس الناس و الذي يُقدّس الحجر أنّما يتمسّح به ، أنّما يلثمه ، و الناس أنّما تدور حول الكعبة لِتَفْعَلَ هذا ، امّا الإمام يستند على الحجر يريد ان يُبيّن أنّه هو اقدس من الحجر صلوات الله و سلامه عليه ، و ما قيمة الحجر ، ما قيمة هذه الآثار ؟ و إن كانت الناس في ذهنيّاتها الجاهلة تطوف بتلكم الاحجار و تتمسّح بالآثار و تترك اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين و لذلك روايات متعدّدة ، ربّما في دروسنا في شرح (نهج البلاغة) الشريف تلوّنا عليك بعض الروايات الموجودة في كتاب (الوسائل) و في غير كتاب (الوسائل) الشريف ، انّ الإمام صلوات الله و سلامه عليه يرى الناس يطوفون ، يقول و الله ما أمروا ان يطوفوا بهذه الاحجار ، أمروا ان يطوفوا بها و يأتوا لنا ، و إلّا ليس العلة و لذلك في رواياتنا (تمام الحجّ لقاء الإمام) كما انّ تمام الدين و ولاية عليّ صلوات الله و سلامه عليه تمام الحجّ ايضاً لقاء الإمام و تجديد العهد بالإمام المعصوم صلوات الله و سلامه عليه ، كمال الحجّ لقاء الإمام (ليَقضُوا تَقَنُّهُمْ) في رواياتنا الشريفة ، يقضوا تَقَنُّهُمْ بِلقيا الإمام ، الروايات الواردة عن اهل البيت في معنى (ليَقضُوا تَقَنُّهُمْ وليوفوا نذورهم) بأيّ شيء ؟ التفتّ هو الاوساخ ، هذا بعد تمام الحجّ ، يعني الحجّ لم يكن هو الذي ازال اوساخهم و أنّما (ليَقضُوا تَقَنُّهُمْ) بِلقيا الإمام ، لقيا الإمام هي التي تُزيل اوساخهم ، الحجّ الذي تُعَفَّر فيه الذنوب لا هذا الطواف بالاحجار (ليَقضُوا تَقَنُّهُمْ) كما تقول الروايات يُقضى التفتّ بِلقيا الإمام صلوات الله و سلامه عليه ، فالإمام صلوات الله عليه عندما يُسند ظهره الى الحجر يريد ان يُشير الى معنيين ، المعنى الاول انّ هذا الحجر حجرتنا و هذا البيت بيتنا ، و هذه مكة مكنتنا ، و هذا التشريف الذي في مكة لولادة عليّ صلوات الله و سلامه عليه فيها ، هذا الحجر حجرتنا ، نعم الناس تطوف حوله ، امّا هذا الحجر حجرتنا و لذلك يُسند ظهره صلوات الله و سلامه عليه ، و المعنى الآخر ايضاً يريد ان يُشير بهذا الفهم لانه عادةً الذي يعطي لِشيءٍ التقديس الكثير ان يتمسّح به ، مثلاً بهذا الحجر ، ان يلثمه لا ان يُسند ظهره اليه و هو يريد ان يخطب ، على الاقل ان يجعله بين يديه ، يريد ان يُبيّن للناس و لذلك في حُطْبَتِهِ الشريفة بيّن أنّه هو اولى الناس بالله ، اولى الناس بالانبياء ، اولى الناس برسول الله ، اولى الناس بكتاب الله ، بيّن هذا المعنى في الكلمات التي ستأتينا في نفس هذه الرواية الشريفة ، و هناك دلالة اخرى ايضاً ، أنّه صلوات الله و سلامه عليه أنّما يُسند ظهره الى الله ، دلالة اخرى تُضاف الى هذه الدلالات أنّما يُسند ظهره الى الحجر ، أنّما يُسند ظهره الى الله لأنّ هذه المواضع مواضع نُسبت الى الله سبحانه و تعالى لكنها نُسبت الى الله . كما بيّنا فيما سلف . لأنّ فيها آثار اولياء الله ، لأنّ فيها آثار اجداده الطاهرين (ثم قال ابو جعفر عليه السلام ، و الله لكأني انظر اليه و قد اسند ظهره الى الحجر فيُنشِد الله حقّه) انشد ، طلب ، و فلان نشد من فلان ، طلب منه (فيُنشِد الله حقّه

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

ج ٧

(يعني فيطلب من الله حقه (ثم يقول , يا ايها الناس) المراد هنا (فيُنشِد الله حقه)) اما المراد انه في اثناء خُطْبته يُخاطب الباري سبحانه و تعالى ان يُعْطيه حقه , و المراد (ان يُعْطِيَهُ) حقه بالنتيجة ليس لمخلوق حتى لكل المخلوقات , في اصل الحق , الحقُّ لله سبحانه و تعالى , المراد هنا (يُنْشِد الله حقه) و إن كان لأهل البيت حَقُّ على الله لكن حَقُّ على الله , الله فَرْضُهُ لا هُم الذين فرضوه و لذلك في زيارتنا الشريفة او في ادعيتنا انه تُقسِم على الله بِحَقِّ اهل البيت عليه و تُقسِم على اهل البيت بِحَقِّ الله على اهل البيت , هذا المعنى ثابت و ليس لمخلوق حق على الله إلا لأهل البيت و إلا حتى الانبياء ليس لهم من حق و لذلك ايوب على نبينا و آله و عليه افضل الصلاة و السلام بعد ان اخرجوه من المدينة و القصة واضحة ربما في اذهانكم , المرَض الذي اصابه , الى ان الناس كلهم نفروا منه , بقي مَلَأُ قَلِيل من الناس , انفار من خُلص اصحابه , في يوم من الايام جاءوا اليه و رأوا حال ايوب في كل يوم يكون انعس من اليوم الذي سبق فقالوا له , احدثهم قال له , قال يا نبي الله انت لا بد ان فعلت ذنباً مع الله و هكذا يفعل بك , يعني هذا الحال الذي نراه فيك لا بد انك فعلت شيئاً فعاقبك الله بهذا و إلا نحن في كل يوم نأتيك بجدك في حال اسوأ من الحال التي قبلها , على الاقل اننا ندعو لك , انت تدعو لنفسك , فيقولون ان ايوب تأذى كثيرا من هذا الكلام , من هذه الحالة , بالنتيجة هؤلاء اقرب الناس اليه اخذوا هكذا ينظرون اليه , هكذا يظنون فيه , يقولون جلسَ جلسةَ المحاجج , تقول الرواية الشريفة , جلسَ جلسةَ المحاجج و قال لو كان هناك حجاج لحاججتك يا ربّي , اي ذنب اذنبت ؟ و يأتي النداء من الباري , من غيمة , صوت من جميع الجهات , مئات و آلاف الاصوات , ما قيمتك انت يا ايوب حتى تُحاجج ؟! ما قيمتك انت ؟ و الذي يظهر من سائر حياة الانبياء انه حتى للانبياء لا يوجد لهم حَقُّ على الله , نعم لأهل البيت حَقُّ على الله و هذا الحق هو فرضه لهم , الباري سبحانه و تعالى فرضه لهم و لذلك نجد في زيارتنا الشريفة , في رواياتنا الشريفة , في ادعيتنا الشريفة اننا تُقسِم على الله بِحَقِّ اهل البيت , و تُقسِم عليه ايضا بِحَقِّ الله على اهل البيت (بِحَقِّك عليهم و بِحَقِّهم عليك) هذا المعنى يتكرر في زيارتهم و في الادعية المروية عنهم صلوات الله عليهم اجمعين , فالمراد هنا ان الإمام يُنْشِد حقه , اما في اثناء خُطْبته يُبيِّن هذا المعنى و إما ان يرفع يديه بالدعاء لانه انشده او نشد ايضا تأتي بمعنى دعا (فيُنْشِد الله حقه ثم يقول , يا ايها الناس , مَنْ يُحاجني في الله فانا اولى الناس بالله) يبدأ الإمام صلوات الله و سلامه عليه في خُطْبته هذه يُشير الى معنى المحاججة او المحاججة , لماذا يُشير الإمام صلوات الله و سلامه عليه الى معنى المحاججة او المحاججة ؟ باعتبار انه صلوات الله عليه في اول ظهوره سيلقى ما يلقي من الناس , و في رواياتنا الشريفة انه يلقي من الذين يُحسبون على الاسلام بل على التشيع اكثر مما يلقاه من النصارى و من اليهود , لأنه في رواياتنا و يأتينا باب في هذا الكتاب ايضا

ج ٧

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

موجود , انه يتأذى اكثر مما اودى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم , لماذا ؟ لان رسول الله . كما تقول الرواية . جاء و الناس تعبد الحجاره و اما الإمام يأتي و الناس تتأول عليه كتاب جدّه و سنّه جدّه , هو النصراني , يعني البابا يوحنا الذي يتأول على الإمام كتاب جدّه و سنّه جدّه ؟ او علماء الازهر ؟ قطعاً علماء الشيعة الذين يتأولون على الإمام صلوات الله و سلامه عليه كتاب جدّه و سنّه جدّه و هذا يظهر من خلال تتبع روايات اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين المعنى جلياً واضحاً في ان الإمام صلوات الله عليه يذبح علماء النجف بسيفه الشريف صلوات الله و سلامه عليه , فإتّما الإمام هنا يشير هنا الى معنى المحاجة و المحاجة لانه سيواجه محاجة عظيمة من قبل الناس , مُحاجة عظيمة من قبل الناس , لانه اذا كانت المحاجة من نفس من ينسب الى التشيع يتأول عليه كتاب جدّه و سنّه جدّه بل يُخاطبه ان ارجع فلسنا بحاجة اليك , ان دين جدك بخير , هذا منقول عن علماء النجف , عن كبار علماء النجف , يخرجون الى خارج النجف حينما يأتي الى النجف بعد ان يظهر في مكة صلوات الله و سلامه عليه , ارجع فإنّ دين جدك في خير , فإذا كان الإمام يُواجه من ينسب الى التشيع بهذا النحو من المواجهة , يُواجه صلوات الله و سلامه عليه , قطعاً من غيرهم تكون المواجهة اشد و لذلك مواجهة الإمام ستكون بالسيوف اولاً قبل ان تكون المواجهة باللسان و المحاجة اللسانية لكن بالنتيجة الإمام يقيم الحجة على الناس اولاً و يُبين لهم طريق الرشاد من طريق العي و بعد ذلك يأتي القول الفيصل و يأتي الكلام القاطع بسيف ذي الفقار (يا ايها الناس , من يُحاجني في الله فانا اولى الناس بالله) يعني ايها البشر , يا بني آدم , من يريد ان يدعي انه يُناقش عن الله , ينتسب الى الله و يدعو الى الله , يقول ايّ حمل الفكرة الفلانية منسوبة الى الله , فانا اولى الناس بالله , اذا انتسبتم الى الله فانا اولى الناس بالله , اذا انتسبتم الى آدم , يعني معنى الانسانية , بالنتيجة هناك من الطوائف كطوائف الصوفية , بعض طوائف الصوفية اصلاً حتى لا تُقدّس الانبياء بل يرون في اعظم صوفيّتهم من هو افضل من الانبياء , الفرقة القادرية , الطريقة القادرية , طريقة عبد القادر الكيلاني , ماذا يرون في عبد القادر الكيلاني ؟ يرون . بعضهم . انه برتبة النبي و ان النبي صلى الله عليه وآله قال له يا عبد القادر اوتيت الاسم الاعظم و انّ قدمك على اعناق كل الانبياء , من عهد آدم الى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم , و انه النبي هو الفاتح و عبد القادر الكيلاني هو الخاتم , بعضهم يرون عبد القادر . من اصحاب الطريقة القادرية . بمقام النبي , و بعضهم يرونه افضل من النبي صلى الله عليه وآله و سلم , بالنتيجة طرق الصوفية متعددة , الآن ليس الحديث عن الصوفية و طرائقهم و مشايخهم لكن الذي عنده خبرة بطرائق الصوفية يجد مثل هذا الكلام , انهم يقولون نحن نتصل بالله سبحانه و تعالى بدون الوسائط التي نصبها للعباد و هذه عبادة ابليس , العبادة الابليسية , بالنتيجة هناك من يدعي هذا المعنى ,

ج ٧

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

الفلاسفة ايضا , المدارس الغربية و حتى بعض الذين ربما يُنسَبون الى الاسلام يدعون هذا المعنى , انّ الفلاسفة ليس بحاجة الى انبياء و أنّما الانبياء يبعثهم الله لعامة الخلق و إلاّ الفيلسوف كامل في نفسه , هذه المعاني موجودة في بعض المدارس , المدارس الغربية و حتى المدارس الشرقية و حتى بعض الذين يُنسَبون الى الاسلام ايضا , هذه الافكار موجودة و مطروحة في كتبهم , و اصحاب الخبرة بهذه المسائل هذه الامور واضحة لديهم .

فالذي يدعو الى الله و ينسب فانا اولى الناس بالله كما يقول صلوات الله عليه , الذي يدعو الى معنى الانسانية , ايها الناس الذي يريد ان ينسب الى آدم , و صيحات كثيرة في العالم تُنادي بالانسانية (فانا اولى الناس بآدم) الذي يدعو الى ابراهيم فانا اولى الناس بابراهيم , موسى , عيسى , نوح و سائر الانبياء , بالنتيجة الإمام صلوات الله و سلامه عليه أنّما يذكر هذه الاسماء لأنّ هؤلاء ديانتهُم كانت ديانة عامة و لأنّ ديانتهُم بقيت لها بعض الآثار كالديانة الموسوية او الديانة العيسوية , و من كان يدعو الى نبينا صلى الله عليه و آله و سلم , هذا الذي يدعي انه من أمة الاسلام , فانا اولى الناس بالنبي المصطفى صلى الله عليه و آله , و من كان يدعو الى كتاب الله فانا اولى الناس بكتاب الله , الإمام صلوات الله و سلامه عليه هنا يفتح باب المحاججة على مصراعيه , يعني ايها البشر , في اي باب انتم تُحاججون انا اولى بهذا الباب و انّ مرجعكم اليّ في هذا الامر و لذلك يُنقل في بعض رواياتنا الشريفة , و ربما تأتينا الاشارة اليه في الايام القادمة , الجُمعات الآتية ان شاء الله , انّ الإمام في يوم من الايام يجمع كل علماء الارض و يُحاججهم جميعا , كل علماء الارض من علماء الاديان او غيرهم , و يُحاججهم جميعا فيثبت بطلان صاحب القول الباطل و يُثبت احقيّة صاحب القول الحق , و الذي يبقى على بُطلانه يلقي جزاءه , و الذي يؤوب الى الحق يؤوب الى الحق بالنتيجة و هو هذا الذي يريدُه الإمام صلوات الله و سلامه عليه من الناس (يا ايها الناس , من يُحاجني في الله فانا اولى الناس بالله , ايها الناس من يُحاجني في آدم فانا اولى الناس بآدم , ايها الناس من يُحاجني في نوح فانا اولى الناس بنوح , ايها الناس من يُحاجني في ابراهيم فانا اولى الناس بابراهيم) يعني الإمام يريد ان يقول , حتى الانبياء الماضين , الانبياء الذين غبرت أُممهم كنوح على نبينا و آله و عليه افضل الصلاة و السلام , حتى على هذا الاحتمال و إن كان لا يوجد هناك من يُنسب الى نوح في ايامنا هذه , حتى الانبياء الغابرين لو انشقت الارض و خرّج الموتى و دعوا الى نوح فانا اولى الناس بنوح (ايها الناس من يُحاجني في ابراهيم فانا اولى الناس بابراهيم , ايها الناس من يُحاجني في موسى فانا اولى الناس بموسى , ايها الناس من يُحاجني في عيسى فانا اولى الناس بعيسى , ايها الناس من يُحاجني في مُحمّد صلى الله عليه و آله فانا اولى الناس بمُحمّد صلى الله عليه و

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

ج ٧

آله , ايها الناس مَنْ يُحَاجُّنِي فِي كِتَابِ اللَّهِ فَاَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِكِتَابِ اللَّهِ (أما ما المراد من كلمة (اولى) الآن المعنى الاجمالي لهذا المضمون الذي ذُكِرَ في بعض خُطْبَتِهِ الشريفة صلوات الله و سلامه عليه , معنى المِحَاجَّةِ هنا بالشكل الاجمالي بَيَّنَّهُ الإمام , بَيَّنَّهُ من جهة انَّ الإمام فَتَحَ باب المِحَاجَّةِ على مصراعيه , مَنْ كَانَتْ لَهُ حُجَّةٌ فَاَنَا أَوْلَى بِتِلْكَ الْحُجَّةِ , لِماذا ؟ لِماذا كان الإمام اولى بِكُلِّ هذه الحُجَجِ ؟ لِأنَّه حُجَّةُ اللَّهِ وَ حُجَّةُ اللَّهِ مُطْلَقَةٌ لَا تُقَيَّدُ بِحَدٍّ , لَا تُقَيَّدُ بِقَيْدٍ وَ لَا تُحَدَّدُ بِحَدٍّ , الإمام حُجَّةُ اللَّهِ المُطْلَقَةُ الَّتِي لَا تُقَامُ عَلَيْهَا حُجَّةٌ , رَبَّمَا هَذَا الْمَعْنَى شَرَحْتُهُ فِي الدرس الماضي في شرح (الحُطْبَةُ الشَّقِيشِيَّةُ) وَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَكْمَلَهُ فِي يَوْمٍ غَدٍ بِاعتبار درس (تَهَجُّجُ الْبَلَاغَةِ) فِي يَوْمٍ غَدٍ جَارٍ عَلَى رِيسَلِهِ , انَّ الإمام تُقَامُ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ ؟ الإمام لَا تُقَامُ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ , عِنْدَمَا وَصَلْنَا (لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ , وَ قِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ) قُلْتُ يَعْنِي عِنْدَمَا يُوْجَدُ الْإِنصَارُ هَلْ يَعْنِي انَّ الْحُجَّةَ تُقَامُ عَلَى الإمامِ الْمُعصُومِ ؟ قَطْعًا لَا , الْحُجَّةُ لَا تُقَامُ عَلَى الإمامِ الْمُعصُومِ , هَذَا الْمَعْنَى شَرَحْتُهُ , إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمَّمْ شَرَحَهُ فِي يَوْمٍ غَدٍ فِي درس (تَهَجُّجُ الْبَلَاغَةِ) الشريفة , الإمام لِأنَّه حُجَّةُ اللَّهِ المُطْلَقَةُ , وَ حُجَّةُ اللَّهِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُقَامَ عَلَيْهَا حُجَّةٌ , هَذَا نَقْصٌ فِي اللَّهِ , نَقْصٌ نَسَبُهُ إِلَى اللَّهِ , إِذَا تَصَوَّرْنَا أَيَّ مَخْلُوقٍ أَوْ أَيَّ مَعْنَى أَوْ أَيَّ عِلْمٍ أَوْ أَيَّ شَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ حُجَّةً عَلَى حُجَّةِ اللَّهِ , حِينَئِذٍ كَانَتْ حُجَّةُ الْخَلْقِ أَعْلَى مِنْ حُجَّةِ اللَّهِ , كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَعْنَى ؟ الإمامِ الْمُعصُومِ حُجَّةُ اللَّهِ يَعْنِي اللَّهُ احْتِجَّ بِهِ وَ جَعَلَهُ الْحُجَّةَ الْوَاضِحَةَ وَ الْبَيَانَ الْلَائِحَ لِكُلِّ مَخْلُوقَاتِهِ , يُمْكِنُ أَنْ تَعْلُو حُجَّتُهُ حُجَّةً ؟ لَا يُمْكِنُ هَذَا , هَذَا يَكُونُ حِينَئِذٍ نَقْصٌ نَسَبُهُ إِلَى اللَّهِ لِأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَ تَعَالَى كَامِلٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَ لَا يَشُوبُهُ النِّقْصُ , كَمَا أَنَّ كَلَامَهُ كَامِلٌ , كَمَا أَنَّ خَلْقَهُ كَامِلٌ , كَمَا أَنَّ فِعْلَهُ , كَمَا أَنَّ عِلْمَهُ كَامِلٌ , حُجَّتُهُ كَامِلَةٌ أَيْضًا وَ لَا تَعْلُوهَا حُجَّةٌ وَ لَيْسَ فَوْقَ حُجَّةِ اللَّهِ مِنْ حُجَّةٍ , الإمامُ هُنَا يَفْتَحُ بَابَ الْمِحَاجَّةِ لِاجْلِ الْمُدَارَاةِ , لِاجْلِ مُدَارَاةِ الْخَلْقِ يَفْتَحُ بَابَ الْمِحَاجَّةِ عَلَى مِصْرَاعِيهِ , وَ الإمامُ يَفْتَحُ بَابَ الْمِحَاجَّةِ بِسَيْفِهِ , بَابَ الْمِحَاجَّةِ بِلسَانِهِ , يَعْلَمُهُ , يَفْعَلُهُ وَ بِكُلِّ شَيْءٍ , لَكِنَ الإمامُ هُنَا يَفْتَحُ بَابَ الْمِحَاجَّةِ لِلنَّاسِ فَكُلُّ مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا وَ يَحْتَجُّ بِهِ فَإِنَّمَا هَذِهِ الْحُجَّةُ الَّتِي يَحْتَجُّ بِهَا إِنَّمَا هِيَ فَرْعٌ عَنِ الْحُجَّةِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ وَ لِذَلِكَ الإمامُ أَوْلَى بِكُلِّ تَلَكُمُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي إِشَارَ إِلَيْهَا فِي خُطْبَتِهِ الشريفة , وَ الَّتِي لَمْ يُشِرْ إِلَيْهَا , وَ إِنَّمَا الإمامُ هُنَا إِشَارَ إِلَى عَنَاوِينَ , إِشَارَ إِلَى رَمُوزِ , هَذِهِ الرَّمُوزِ تُشِيرُ إِلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ , انَّ الإمامَ أَوْلَى بِكُلِّ شَيْءٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَ سَلَامُهُ عَلَيْهِ .

أما ما المراد من أولى ؟ ... هذا الشيء افضل من هذا الشيء , هذه صيغة افعل (أولى) صيغة افعل , و صيغة افعل في لغة العرب إنما يُستفاد منها في باب التفضيل و لذلك يُقال لها في اصطلاح النحاة (افعل التفضيل) صيغة افعل , افعل التفضيل , معروفة بين علماء النحو , ف (أولى) من هذا القبيل , أولى , أما ما المراد هنا من كلمة (أولى) أولى بالنتيجة مُشتَقَّةٌ مِنَ الْوَلَايَةِ , وَ الْوَلَايَةُ تُنطَقُ بِالْفَتْحِ وَ بِالْكَسْرِ , يُقَالُ

ج ٧

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

ولاية و يُقال ولاية , بعض اللغويين من قال الولاية و الولاية بمعنى واحد و ذهب الى هذا الرأي جملة من اللغويين و حتى من المحدثين , من مُحدثي الطائفة , علماء الطائفة ما يُفترقون بين الولاية و الولاية لكن التحقيق بالنسبة للعبد انّ (الولاية) فارق في دلالتها عن الولاية , بالنتيجة و إن كانت الولاية مع الولاية تتحدان في معنى لكن الولاية اوسع و اعم و لذلك عُبر في القرآن (هنالك الولاية لله الحق) الولاية بالفتح الولاية بنحو اعم , على اي حال لا اريد ان ادخل في هذا البحث اللغوي فيشُدُّ بنا الكلام عن اصل المطلب , لكن ما المراد من معنى (الولاية او الولاية) و بالنتيجة لها دلالات لغوية متعددة , الولاية او الولاية تأتي بمعنى السلطنة , صاحب الولاية يعني صاحب السلطان , و الولاية و الولاية تأتي بمعنى النصرة , و اولياء الرجل انصاره , الذين ينصرونه , و لَمَّا يقولون (اولياء) يعني خاصة انصار الرجل الذين ينصرون فكرته التي يحملها , الامر الذي يدعو اليه , قد يكون امراً دينياً , قد يكون امراً دنيوياً , حتى هذا الذي يقطع الطريق و ينهب اموال الناس , ايضاً اصحابه يمكن ان يُعبر عنهم في لغة العرب باوليائه , و قد يكون امراً دينياً و قد يكون لا , لطلب الثأر , فالذين ينصرونه في طلب ثأره , قُتل شخص من اقربائه و يريد ان يطلب بثأره , الذين ينصرونه . كان ثأره حقاً ام باطلا . يقال لهم اولياء ايضاً , فالولاية او الولاية تأتي بمعنى السلطنة اولاً , ثانياً تأتي بمعنى النصرة , و ثالثاً تأتي بمعنى المحبة , و فلان ولي فلان يعني مُحِبُّ له , صديق له , و الولاية ايضاً تأتي بمعنى القرية , فلان ولي فلان , قد يكون قريباً منه , تارةً هذا القرب قد يكون قريباً رحيماً نتيجة حُمة النسب من الارحام (اولو الارحام) يُعبر عنهم في الكتاب الكريم بل في لغة العرب , بالنتيجة اولوا الارحام اَمَّا قيل لهم (اولو الارحام) لانه من معاني الولاية هي هذه العلاقة الرحيمية او الحُمة النسب فيما بين هذا الرجل و بين رجل آخر او بين طائفة اخرى , فالولاية من جملة معانيها السلطنة كما قُلت , النصرة كما قُلت , و كذلك القرية ايضاً من معاني الولاية , القرية هنا تارةً قد تكون القرية القلبية , قد تكون القرية الرحيمية , بالنتيجة القرب , و الولاية كذلك تأتي بمعنى المحبة و قد تأتي الولاية كذلك بمعنى انه العمل المتفرع عن عمل السلطان , قد يأتي معنى الولاية , و دلالات اخرى كما يُقال فلان وال او له ولاية المصر الفلاني و اَمَّا كانت له الولاية لان ولايته مُتفرعة عن ولاية الخليفة او السلطان الاكبر , قد يأتي بهذا المعنى و دلالات اخرى في اللغة , لكن المراد هنا من قول الإمام صلوات الله و سلامه عليه (انا اولى الناس بالله) يعني انا اقرب الناس الى الله , المراد من الولاية هنا القرب و بالنتيجة القرب من الله يُعطي للعبد النصرة , يكون الله ناصره , و يُعطي للعبد كذلك المحبة لان الله يُحبه و من احبه الله يجب على العباد ان يُحبوه , يجب على العباد ان ينصروه , و يُعطي كذلك معنى الولاية المطلقة في كل جنباتها , التكوينية و التشريعية , لانهم اقرب الى الله فكانوا الاكمل , فلانهم الاكمل اعطاهم الله تمام فيضه , و من جملة الفيض الذي اسبغهُ عليهم

ج ٧

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

ولايته التكوينية و التشريعية و سائر التفصيلات الاخرى التي تتعلق بهذا الباب , اولى هنا بمعنى اقرب , المراد هنا (اولى) عبارة اولى , اولى الناس بالله , اولى الناس بابراهيم , اولى الناس بنبينا , اولى الناس بكتاب الله , اقرب , اقرب هذا المعنى العام .

اما اذا اردنا ان نأتي الى خصوصيات كل معنى , كل فقرة , قطعاً لها دلالة خاصة , لكن عبارة (اولى) في كل الخطبة الشريفة , اولى الناس بالله , بآدم , بنوح , بابراهيم , بموسى , بيسى , بنبينا , بكتاب الله , المراد هنا (انا الاقرب) يعني انا اقرب الى الله , انا اقرب الى آدم , انا اقرب الى نوح , انا اقرب الى ابراهيم , وهكذا انا اقرب الى كتاب الله , هذا المعنى العام لكلمة (اولى) اما اذا اردنا ان ندرس خصوصيات كل فقرة , ايضا لكل فقرة دلالة خاصة بها (انا اولى الناس بالله) انا اقرب الناس الى الله سبحانه و تعالى و انا ولي الله , و المراد (ولي الله) يعني انا الذي يرجع الي حق الله , فالإمام لما هنا كان يُنشد الله حقه أما حقه حق الله سبحانه و تعالى فهو ولي الله و انّ الباري سبحانه و تعالى جعل حقه و جعل ما يريدُه سبحانه و تعالى و ما لا يريدُه بيد وليه صلوات الله و سلامه عليه فهو اقرب الخلق اليه و اهل البيت اقرب الخلق الى الله و لذلك افاض عليهم تمام فيضه , ايس من الثابت عندنا انهم احب الخلق اليه , هذا ثابت عندنا , ما اعتقد مسلماً يشك في هذا المعنى , ما اعتقد مسلماً يشك في انّ النبي صلى الله عليه و آله , نعم ربما ابناء العامة يشكون في قضية اهل البيت , اما مسلم و ان كان ابناء العامة اذا اردنا ان نرجع الى الواقع فليس بمسلمين , على اي حال , ما يوجد مسلم يشك انّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم هو احب الخلق الى الله , ما يوجد مسلم يشك في هذا , ابدأ , اما في الشيعة لا يوجد من الشيعة من يشك , نعم إلا ان يكون ابوه شيعياً , أمه شيعية و يُنسب الى التشيع هكذا نسبة عقوية و إلا من كان من شيعة اهل البيت ما اعتقد احداً يشك , لا اقصد لا يوجد في مجتمع الشيعة من لا يشك في هذا الامر , لا , اقصد من الشيعة , فارق (من الشيعة) و مجتمع الشيعة , في مجتمع الشيعة كثير من الناس الذين وُلدوا في عوائل شيعية و ما هم بشيعة , من كان شيعياً ما اعتقد احداً يشك في انّ اهل البيت احب الخلق الى الله , اذا ثبتت هذه المقدمة , انهم احب الخلق الى الله سبحانه و تعالى , يترتب عليها امران , الامر الاول , قطعاً انّ الله لا يمكن ان يُحبهم و يكونون احب الخلق اليه ما لم يكونوا افضل الخلق و إلا يكون نقصاً يُنسب الى الذات الالهية , اذا كان يوجد في هذا الوجود و في هذا الخلق من هو افضل منهم و الباري يُحبهم , يُحب اهل البيت اكثر من ذلك , هذا نقص قطعاً يُنسب الى الله سبحانه و تعالى , هذا نقص يُنسب الى الله , فلما كانوا احب الخلق , انما كانوا احب الخلق لانهم افضل الخلق , فلما كانوا افضل الخلق و لمّا كانوا احب الخلق و انّه لا يوجد مخلوق يُحبه الباري كحُبهم بل جعل حُبهم حبه , من احبهم احب الله , من ابغضهم ابغض الله , فحينئذ

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

ج ٧

ليس من البخل انّ الباري سبحانه و تعالى لا يُسبغ عليهم تمام فيضه؟! حينئذ يكون الباري بخيلا , كما أحبهم تمام الحب اسبغ عليهم و إلا اذا تصوّر انه يُحبهم تمام الحب و لهم تمام الفضل و يُعطيهم كما يُعطي سائر الخلائق , هذا خلاف الحكمة الربّانية , هذا خلاف الجود الإلهي فلذلك اعطاهم تمام فيضه , اعطاهم تمام عطائه , اعطاهم تمام نعمته سبحانه و تعالى , فهّم اولى الناس بالله , هّم اقرب الناس الى الله سبحانه و تعالى و لذلك كانوا وجهاً لله , كانوا باباً لله , كانوا عيناً لله , كانوا اذنأ لله , اقرب الناس الى الله سبحانه و تعالى , هذا معنى (اولى الناس بالله) و هذا البيان بيان اجمالي و إلا التفصيل في هذا المطلب يحتاج الى كلام طويل (ايها الناس من يُحاجني في آدم فانا اولى الناس بآدم) قلت , اولى , اقرب بالشكل الاجمالي , اما هنا لا , ليس المراد انّ الإمام الحجّة اقرب الى آدم , هو الذي يتقرّب الى آدم و أمّا آدم يتقرّب الى الإمام الحجّة لكن اولى , اقرب , قلت في البداية انا , عبارة (اولى) بشكل عام في الرواية معناها اقرب , اما اذا اردنا ان ندخل في تفاصيل العبارات , كل عبارة لها دلالة (اولى الناس بالله) و أمّا نفهم هذه المعاني لا هكذا جُزافاً , استناداً لما بُجّده في كلمات اهل البيت , استناداً لما بُجّده في روايات اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين (اولى الناس بالله) الإمام الحجّة يتقرّب الى الله بل هو اصلاً كما نقول (الإمام الحجّة يتقرّب الى الله) هذا المعنى في حقيقته من جهة مجازية مقبول , اما من جهة حقيقية معنى خاطيء لانّ الإمام ما هو بعيد عن الله حتى يتقرّب الى الله , الذي يتقرّب انا و انت , نحن البُعداء عن الله نتقرّب شيئاً فشيئاً , و أمّا قيل له تقرّب , تفعل , يعني شيئاً فشيئاً , كُلّما نعمل عملاً صالحاً نتقرّب الى الله , كُلّما نحمل فكرة صالحة تعيش في اعماقنا نتقرّب بها الى الله شيئاً فشيئاً , اما الإمام هو قرينة الله , الإمام هو وجه الله , و هل يوجد اقرب الى الله من وجهه؟ هو الانسان , اصلاً يمكن ان نقول وجه الانسان قريب من الانسان , اصلاً وجه الانسان هو الانسان , هل يوجد اقرب من وجه الله الى الله؟ اصلاً عبارة (يتقرّب) مجازاً نقولها لاهل البيت و إلا حقيقةً اهل البيت ما هُم ببعيدين حتى يتقرّبوا الى الله , اهل البيت ما هُم بالذين يحتاجون الى التقرب شيئاً فشيئاً , نحن الذين نحتاج الى هذا المعنى , شيئاً فشيئاً نتقرّب الى الله , فلما نقول انّ الإمام اولى الناس بالله , الإمام ما هو ببعيد عن الله , معنى القرب هنا معنى مجازي و أمّا هو حجة الله , هو وجه الله سبحانه و تعالى , على اي حال قلتُ هذا المعنى فيه تفصيل كثير و ربّما معنى التقرب و انّ الإمام لا يتقرّب الى الله , هذا معنى وسيع لا يمكن بيانه في هذه الدقائق القصيرة .

اما (اولى الناس بآدم) الإمام يعني كما نقول (اقرب) المراد هنا الإمام يتقرّب من آدم؟! كيف يمكن هذا؟! لا يمكن , لا يمكن ان يتقرّب الافضل من المفضول , هناك مفضول , هناك فاضل و هناك افضل , و آدم هناك من الانبياء من هو افضل منه , هو آدم يلزم عليه ان يتقرّب من الفاضل قبل ان يتقرّب من

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

ج ٧

الافضل , الإمام هو الافضل و هناك من الانبياء من هو فاضل و آدم مفضل و إلا اولى العزم افضل من آدم , اولى العزم بالنسبة لآدم آدم يتقرب اليهم و اولى العزم يتقربون الى اهل البيت , هناك مفضل و فاضل و افضل و آدم مفضل (لم نجد له عزما) القرآن يُعبر عنه (و لقد عهدنا الى آدم فنسي و لم نجد له عزما) و اولى العزم ارقى رتبة من آدم و آدم مفضل و اولى العزم فاضلون فهو يتقرب من الفاضل و الفاضل يتقرب من الافضل , فالمراد هنا (اولى الناس بآدم) يعني ابي اكثر الناس فضلاً على آدم و آدم يدين لي و انما آدم قُبلت توبته باسمائه , باسماء اجداده صلوات الله عليه , باسماء اهل البيت , و انما آدم سجدة له الملائكة لأي شيء ؟ يعني آدم قبل الخطيئة فاما نال من الفضل ما نال بعد ان علموه الاسماء (و علم آدم الاسماء كلها) و انما اسماء اهل البيت مظاهر لتلك الحقائق التي علمها آدم , ففضيلة آدم قبل خطيئته انما كانت بتلك الاسماء , و عيش آدم في جنته لانه يحمل تلك الاسماء , فلما كانت الخطيئة و نزل الى الارض ما قُبلت توبته إلا بتلك الاسماء , فآدم في وجوده , في بدايته , في نهايته انما كان بفضل اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين , و آدم انما هو مولى للإمام المعصوم , ايس اهل البيت اولياء النعم ؟ اهل البيت اولياء النعم و الانبياء شيعتهم و النعم تصدر من اهل البيت على الانبياء لا من الانبياء لأهل البيت , ايس هذا في رواياتنا , هذا المعنى جلي في رواياتنا , و لما نُسلم على اهل البيت انهم اولياء النعم , النعم صادرة من اهل البيت على الانبياء , ربما فيما سلف هذه الرواية مراراً و تكراراً ذكرتها (و ان من شيعته لابراهيم) من شيعة علي صلوات الله عليه , في روايات اهل البيت هكذا ورد , ايس ابراهيم لما رأى الانوار و سأل الباري عن صفات الشيعة و ذكر له الباري من ضمن صفاتهم سجدة الشكر و الرواية مُفصلة , راجعها في مظانها , فيما سلف ذكرتها , و الرواية تقول لما نزل ملك الموت على ابراهيم , ابراهيم طلب من ملك الموت ان يموت و هو ساجد سجدة الشكر تشبهاً بشيعة اهل البيت , تشبهاً , تشبهاً بشيعة اهل البيت ابراهيم اراد ان يخرج من هذه الدنيا و هو يتشبه بشيعة اهل البيت , فالانبياء بالنتيجة موالى نعمة لاهل البيت صلوات الله عليهم (موالى نعمة) كلمة مولى تحمل معنيين , مولى تعني سيد , و مولى تعني عبد , اهل البيت اولياء النعم , موالى النعم يعني سادتهم , و الانبياء موالى نعمة ايضاً , يعني عبيد نعمة عند اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين و هذا المعنى واضح في رواياتنا , انه اهل البيت من طينة , و الانبياء و الشيعة من طينة واحدة , الانبياء و الشيعة من طينة واحدة , و اهل البيت من طينة واحدة , فالمراد (اولى الناس بآدم) يعني لي من الفضل على آدم ما اكون اولى به و انما يكون اولى به كما ورد , هو ايس النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ؟ اولى من المؤمنين بانفسهم ما معناه ؟ يعني يتصرف بهم ما يشاء , المراد نفس هذا المعنى و آدم انما هو في عداد المؤمنين , آدم انما هو في عداد شيعة اهل البيت و آدم انما نجا باسماء اهل

ج ٧

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

البيت صلوات الله عليهم اجمعين , فالمراد هنا (أولى) أنّما آدم مُتَفَرِّعٌ عَنِّي , يعني مَنْ ارَادَ ان يُحَاجِّني في الله فانا اقرب خَلَقٍ الى الله , و ما يوجد بُعد فيما بينه و بين الله سبحانه و تعالى , و مَنْ ارَادَ ان يُحَاجِّني في آدم فانا اولى الناس بآدم و أنّما انا المُتَفَضِّلُ على آدم و آدم مُتَفَرِّعٌ عني , فالذي يريد ان يُحَاجِّج , يُحَاجِّج بالفرع ام بالاصل ؟ آدم أنّما هو فرع مِنِّي , و لذلك له الحُجَّةُ المطلقة .

ربّما الوقت طال بنا و تَمَّتْ الرواية ان شاء الله نأتي عليها في يوم الجمعة القادم لكن الخلاصة التي نَحْتَم بِهَا الحديث , الرواية تريد ان تُشير الى هذا المعنى , تُشير الى معنى الحُجَّةِ المطلقة للإمام المعصوم صلوات الله و سلامه عليه , الحُجَّةُ التي ليس فوقها من حُجَّة , و الحُجَّةُ التي لا تُقَارَعُ و الحُجَّةُ التي لا يمكن ان تُقام عليها حُجَّةٌ لأنّ هذا نَقْصٌ يُلْحَقُ بِحُجَّةِ الله سبحانه و تعالى , و على هذا اذا كانت حُجَّةُ الإمام حُجَّةً مطلقة و حُجَّةً بَيِّنَةً و حُجَّةً واضحة , اذن هل يَحَقُّ لنا ان نقول او ان نتصوّر , يَحَقُّ لنا حينئذ ان نتصوّر بما أنّ الإمام غائب عن الانظار فكأنّهُ مُنْقَطِعٌ عن واقعنا , لا يَحَقُّ لنا حينئذ ان نتصوّر هذا المعنى لانّنا اذا تصوّرنا هذا المعنى نقَدِّحُ في حُجَّةِ الله و هذا قَدِّحٌ في التوحيد , لا يَحَقُّ لنا حينئذ ان نتصوّر , صحيح الإمام غائب عن الانظار صلوات الله و سلامه عليه , صحيح يَصْعُبُ علينا ان نَصِلَ اليه الوصول الجسدي , الوصول المادي , صحيح هذا من المسائل الصعبة علينا , لا يكون سهلاً علينا لكن لا يعني هذا أنّنا نتصوّر أنّ الإمام صلوات الله و سلامه عليه لَمَّا كان غائبا عن الانظار يعني هو بعيد عَنَّا , يعني هو بعيد عن حياتنا , فإذا كُنّا نتصوّر هذا المعنى , هذا قَدِّحٌ في حُجَّةِ الله سبحانه و تعالى , و اذا كُنّا نعيش هذا المعنى , أنّ الإمام لا , غير مُنْقَطِعٌ عَنَّا , اذا كُنّا نعيش هذا المعنى و نتصوّر أنّ الإمام غير مُنْقَطِعٌ عَنَّا و نحن في حياتنا , في شؤوناتنا ما نتعامل مع الإمام بتعامل الآدب , ما نتعامل مع الإمام بالتعامل الذي يريده الإمام , هذا ايضا عَدْرٌ بِعَهْدِ الوفاء للإمام صلوات الله و سلامه عليه , بالنتيجة التقصير يَلْقُنَا من كل جانب , إنّ كُنّا نعتقد الإمام صلوات الله و سلامه عليه مُنْقَطِعٌ عَنَّا فهذا قَدِّحٌ في حُجَّةِ الله و هذا القَدِّحُ يستلزم القَدِّحُ في التوحيد و حُجَّةُ الله حُجَّةٌ ثابتة ليس من فوقها حُجَّةٌ ابدأ , و اذا كُنّا نعيش هذا المعنى , أنّ حُجَّةِ الإمام سارية في كل حياتنا و نحن لا نتعامل معها بالآدب الذي يُناسبها , هذا ايضا عَدْرٌ بِعَهْدِ الوَلايَةِ , عَدَمُ وفاء للإمام صلوات الله و سلامه عليه .

اللهم يا رَبَّ الحُسَيْنِ , يَحَقُّ الحُسَيْنِ , اشْفِ صَدْرَ الحُسَيْنِ بِظَهْوَرِ الحُجَّةِ عليه السلام

ملاحظة :

- (1) الافضل مراجعة الكاسيت لاحتمال وجود بعض الاخطاء المطبعية .
- (2) و قد تكون بعض المقاطع غير مُسجَّلة من الوجه الاول و الثاني للكاسيت فيُرجى مُراعاة ذلك

(و نسألُكم الدعاء لتعجيل الفرج)